# الفصل الثانى

## الكشوف الجغرافية

### أولا : أسباب الكشوف الجغرافية وحركة الاستعمار :

كان من أبرز نتائج عصر النهضة الأوربية ، قيام بعض الرحالة الأوربيين بحركة الكشوف الجغرافية والتى يمكن ارجاع أسبابها الى عوامل عدة نذكر منها .

**١ ــ العامل الاقتصادى :**

لقد أهتم الأوربيون بكسر عملية احتكار التجارة الشرقية والوصول الى هذه التجارة مباشرة ودون وسيط خصوصا وأن المطبخ الأوربى كان فى حاجة شديدة الى التوابل والبهارات التى كانت لاتوجد الا فى قصور الأمراء ، وتباع فى أسواق أوربا بميزان الصيادلة وبأثمان باهظة .

ونظرا لأن هذه السلع كانت تصل الى أوربا بأسعار مرتفعة نتيجة للرسوم الجمركية التى كان يفرضها المماليك حكام مصر والشام فى ذلك الوقت على هذه البضائع فى أثناء مرورها من ثغور وأراضى بلادهم الى تجار البندقية ثم تحقيق هؤلاء التجار للمكاسب الضخمة فى أثناء نقل هذه البضائع الى أوربا لدرجة أن كيس الفلفل الأسود كان يعادل وزنه ذهبا وأن أهل أوربا كانوا يصفون الرجل الثرى بأنه « كيس بهار » مما أثقل كاهل المستهلك الأوربى ، وجعله يفكر ملياً فى البحث عن طريق قصير آخر للتجارة بهدف كسر احتكار الأسواق الشرقية ووصول منتجاتها اليه دون رسوم جمركية أو ساطة ، ومن هنا بدأ تفكير بعض الأوربيين فى البحث عن طريق بحرى جديد يمكن عن طريقه الوصول الى أسواق الهند وتوفير المحصولات اللازمة للمستهلك الأوربى دون الرجوع الى الطريق الذى يسيطر عليه المماليك .

**٢ — الدافع العسكرى :**

حاولت بعض الدول الأوربية — التى أسهمت الاختراعات الحديثة فى تحديثها ، وزيادة قدرة قوتها العسكرية — الاستيلاء على طرق التجارة الشرقية والسيطرة عليها لتوفير المحاصيل والسلع الشرقية وتصريفها فى أوربا ، والحصول بذلك على كسب مادى كبير ، كما حاولت بعض الدول الأخرى احتلال بعض البلدان بحجة تأمين مصالحها والسيطرة على بقاع جديدة من الأرض واقامة مستعمرات تابعة لها فيها .

**٣ — الدافع الدينى :**

سيطرت الروح الصليبية على البرتغاليين والأسبان بعد أن نجحوا فى اخراج المسلمين من الاندلس ، فدفعتهم شهوة انتصارهم الى الانتقام من مسلمى الشرق ، وتوجيه ضربة قاصمة اليهم وتحويلهم الى الكاثوليكية والوصول الى طرق جديدة توصلهم الى بيت المقدس فى فلسطين لاستخلاصه من المسلمين بعد أن فشلت الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر من تحقيق ذلك .

يضاف الى ذلك رغبتهم فى الوصول الى مملكة « القديس يوحنا » المسيحية فى شرق أفريقية والتحالف معهم ضد المسلمين ونشر المسيحية الكاثوليكية بين أهالى غرب أفريقيا وغيرها من المناطق .

وقد باركت الكنيسة هذه الجهود حيث أصدر البابا نيقولا الخامس منشورا يدعو فيه الى تكوين تحالف صليبى لغزو الشعوب التى لا تدين بالمسيحية وتنصير سكانها ، كما منح ملوك اسبانيا والبرتغال حق تملك الأقاليم الجديدة أو البحار التى يتم كشفها .

**٤ — نمو الروح القومية :**

ارتبط نمو الروح القومية ، وانشاء الدول المستقلة فى أوربا بالرغبة فى التوسع وبسط النفوذ بالاستيلاء على بعض البلدان فى افريقية وآسيا والعالم الجديد ، وقد نتج عن ذلك التنافس بين هذه الدول فى الاستيلاء على المستعمرات مما أدى الى اندلاع الحروب بين الدول الأوربية نفسها من أجل

السيطرة على بقاع جديدة ، وكانت الدول السباقة فى هذا المجال البرتغال واسبانيا ثم هولندا وانجلترا وفرنسا .

**٥ — تقدم العلوم الجغرافية والفلكية :**

نتيجة لتقدم علم **الجغرافيا وعلم الفلك** ، وتطوير البوصلة والتعمق فى ادراك حركات الكواكب والنجوم واختلاف الاجواء تشجع الملاحون فى اجتياز البحار والمحيطات ، والتوسع فى بناء السفن .

يضاف الى ذلك عدة عوامل أخرى منهـا رغبـة بعض الأوربيين فى الكسب المادى السريع عن طريق الكشوف الجغرافية ، وحب البعض الآخر لروح المغامرة والكشف والرغبة فى السطو والتسلط واغتصاب حـقوق الآخـرين .

وعلى كل حال فقد توجت عملية الكشوف الجغرافية جهودها باكتشاف الأمريكتين فى عام ١٤٩٢ م ثم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عـام ١٤٩٨م .

**ثانيا : فضل البحارة المسلمين على البعثات الكشفية الأوربية :**

عرف العرب ركوب البحار منذ الأزمنة القديمة ، وبعد ظهور الاسلام ركبوه للجهاد والتجارة والبحث عن المعادن النفسية .

وعندما اتسعت ارجاء الدولة الاسلامية ، ووصلت حدودها الى اوربا غربا والى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين العلمية ووصل نشاطهم الملاحى الى ارجاء المحيط الهندى ، وأرخبيل الملايو والصين وبحـر الروم وبحر القلزم ، وساهموا فى تطوير علم الجغرافيا وتصحيح الكثير من آراء اليونان القدامى حول تصورهم بأن هناك مناطق بمثابة مأوى للشـياطين والوحوش ويحذرون من اقتحامها لوجود نار تمنع اجتيازها وتحطم اى سفينة تقترب منها .

ووضع المسلمون خرائط بحرية للاسترشاد بها منذ القـرن العاشر الميلادى .

كما اخترعوا البوصلة والاسطرلاب هذا فى الوقت الذى كانت فيه معلومات الأوربيين الجغرافية ضئيلة وممزوجة بالخيال والى جانب ذلك كانت أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة ، وتحرق كنائسها . كل ما يخالف ذلك من علم ومعرفة فى حين اتخذ العرب من تجاربهم الشخصية أساسا جديدا للجغرافية الملاحية .

ومن اشهر المسلمين الذين جابوا العالم المعروف آنذاك المسعودى البغدادى ( ت ٣٤٦ هـ ) صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » والذى ترك لنا خريطة امتازت بتحديد كل من البحر المتوسط والبحر الأسود وبحر أورال وانهار النيل ، والسند ، والكانج والادريسى الاندلسى (١٠) ( ت ٥٦٢ هـ ) والذى قام بعدة رحلات ما بين اسبا والساحل الغربى لانجلترا، وقضى فى صقلية حوالى خمسة عشر عاما قام فى أثنائها برسم الخرائط (١١) والبحث والدرس ، كما عمل معلما لبعض الأوربيين .

وقد استعان البرتغاليون بخبرات العرب البحرية واستخدام الآلات الملاحية التى كانوا يستعملونها مثل البوصلة والاسطرلاب بعد أن تعرفوا عليها عن طريق يهود الاندلس الذين نقلوا اسرارها اليهم ، والى جانب ذلك فقد كانت معرفة البحارة العرب بالطرق البحرية الموصلة الى الهند هى التى ارشدت البرتغاليين الى معرفة هذه الطرق ، وأبرز مثال على ذلك هو ان الملاح العربى الخليجى « أحمد بن ماجد » هو الذى ارشد فاسكودى حاما الى الطريق الموصل الى الهند .

---

(١٠) ولد فى اشبيلية وتلقى علومه فى قرطبة ، وتعد اعماله اعظم عمل عربى فى العصور الوسطى اذ يمثل نقطة الاحتكاك بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية .

(١١) رسم الادريسى خريطة للعالم فى النصف الاول من القرن الثانى عشر للتفاصيل انظر : يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٩ ص ١٢٣ — ١٢٧ .

## ثالثا : أحوال العالم الاسلامى خلال فترة الكشوف الجغرافية :

عانى العالم الاسلامى خلال هذه الفترة من ويلات التمزق والانقسام ، وافتقر الى الوحدة التى تحقق له القوة وتمكنه من مواجهة أعداء الاسلام ، وعاش فى ثبات عميق وعزلة عن العالم الأوربى وكان من نتائج ذلك هزيمة البحرية الاسلامية فى موقعة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م

ولقد انقسم العالم الاسلامى خلال هذه الفترة الى ثلاث قوى متصارعة تحاول كل منها القضاء على الأخرى فهناك الدولة المملوكية فى مصر والشام والحجاز وعاصمتها القاهرة ويحكمها السلطان قانصوه الغورى ، وهناك الدولة الصفوية فى بلاد فارس وأعالى العراق وعاصمتها تبريز ، ويحكمها الشاه اسماعيل الصفوى ، وهناك الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى وبعض مناطق شرق أوربا وعاصمتها استانبول ويحكمها السلطان سليم الأول .

واستمر الوضع الاسلامى على ذلك المنوال حتى استطاع السلطان العثمانى سليم الأول هزيمة كل من الصفويين والمماليك وتوحيد العالم الاسلامى تحت السيادة العثمانية التى استطاعت الوقوف فى وجه أعداء الاسلام فترة ليست بالقصيرة وضرب المخططات البرتغالية الهادفة الى الالتفاف حول الجزيرة العربية والاستيلاء على الاماكن الاسلامية المقدسة ، واغلاق البحر الأحمر فى وجه السفن غير الاسلامية .

هذا بالاضافة الى توغل الدولة العثمانية فى قلب أوربا ونجاحها فى ضم أقاليم أوربية شاسعة وانتزاعها لبعض جزر فرسان الصليبيين فى البحر المتوسط .

## رابعا : حركة الكشوف الجغرافية :

### ١ ـ الكشوف البرتغالية :

تعد البرتغال أول دول أوربا البحرية التى بدأت حركة الكشوف الجغرافية ، ومهدت للهجمات الاستعمارية المتتابعة التى توالت على بلاد الشرق .

وقد يرجع احراز البرتغال لقصب السبق فى هذا المجال الى عدة عوامل نذكر منها .

١ ــ موقعها الجغرافى على المحيط الاطلسى .

٢ ــ رغبتها فى استمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين .

٣ ــ استفادتها من الخبرات البحرية لدى أهالى جنوه والبندقية وقيامها بادخال بعض التعديلات على البوصلة باضافة مؤشر يبين اتجاه الرياح مما ساعد على تقدم الملاحة البحرية .

٤ ــ اطلاعها على مجهودات وخبرات علماء المسلمين البحرية وانتفاعها باختراع البوصلة البحرية والتعمق فى ادراك حركات الكواكب .

٥ ــ بنائها للسفن السريعة القادرة على عبور المحيطات والبحار وعلى السير اثناء الرياح .

وترتبط حركة الكشوف البرتغالية بالأمير هنرى الملاح Henri Le Navigateur ( ١٣٩٤ ــ ١٤٦٠ )

وهو الأبن الثالث لملك البرتغال يوحنا الأول وقد أهتم الأمير هنرى منذ صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية ، فكان شغوفا بدراسة الخرائط الجغرافية والاجرام السماوية والطرق البحرية ، وحركات الرياح كما عنى بالعمل على تطور بناء السفن ، هذا الى جانب أنه يعد المحرك الأول لحركة الكشوف البرتغالية لمدة تزيد على الأربعين عاما .

وقد اشترك الأمير هنرى فى مغامرات حربية ضد بلاد المغرب العربى احتل فيها مدينة سبته فى عام ١٤١٥ والتى كانت تعد سوقا كبيرا للمغاربة وحاول الانطلاق منها الى مناطق أخرى بغرض نشر الديانة المسيحية فيها ولكنه منى بفشل ذريع حينما حاول الاستيلاء على طنجة فى عام ١٤٣٧ م كما قام بتأسيس معهد أبحاث جغرافى على الطرف الجنوبى من شواطىء البرتغال فى عام ١٤١٨ م وبنى قلعة ومرصدا وقصرا لحفظ الخرائط .

كما استقدم اليه صفوة من الفلكيين والجغرافيين وقدم اليهم مجموعاته ضخمة من الخرائط والمراجع الفلكية للاستفادة منهم فى رحلاته البحرية ، يضاف الى ذلك قيامه بالعديد من المحاولات لعقد أواصر الصداقة مع القديس يوحنا حاكم الحبشة المسيحى للاستعانة به فى انشاء امبراطورية برتغالية فى افريقيا ، وتطويق الجناح الاسلامى هناك .

وقد نجح هنرى فى استكشاف بعض الجزر فى المحيط الأطلسى كما نجح فى ارتياد الساحل الغربى لافريقيا عام ١٤١٨ — وقد عرف هذا الطريق البحرى بالطريق البرتغالى — واقام نقط حربية حصينة عليه ، واتخذ منها مراكز حربية وتجارية تمكنه من الوثوب الى العديد من المناطق الأخرى ، كما تمكن من اكتشاف جزر ماديرا فى عام ١٤٢٠ وجزر آزور فى عام ١٤٣١ .

وبفضل هذه الجهود مهد هنرى الطريق امام الخطوات الجادة لاكتشاف طريق راس الرجاء الصالح ، وان كان الأجل لم يمهله حتى يرى ثمرات جهوده فمات فى عام ١٤٦٠ م .

وعلى كل حال فانه نتيجة للتنافس الاستعمارى بين البرتغال واسبانيا ، وقيام بعض الاضطرابات الداخلية تعطلت جهود البرتغاليين الكشفية لفترة استمرت بين عامى ١٤٧٥ — ١٤٧٩ م ثم خطت الكشوف البرتغالية خطوة جريئة حققت بها نصرا مهما عندما أمر الملك يوحنا الثانى بارسال بعثة كشفية بقيادة بارثلميو دياز عام ١٤٨٧ . فعبر الساحل الافريقى ، ودار حول القارة السوداء بقصد الوصول الى الهند عن طريق البحر مباشرة ونجح فى ارتياد الساحل نحو الجنوب حتى وصل الى الخليج . سماه خليج الزوابع نظرا لشدة التيارات البحرية التى وجدها هناك ، ولم يستطع « دياز » الاستمرار فى رحلته نظرا لتمرد بعض بحارته عليه ، فاضطر الرجوع الى برشلونة مارا بمنطقة الكاب مبشرا بطريق جديد الى الهند ، وعندما أبلغ ملك البرتغال بأن الطريق الى الهند أصبح قريب المنال بعد اكتشاف هذا الخليج تغير الاسم الذى اطلقه « دياز » عليه من خليج الزوابع الى راس الرجاء الصالح .

وفى حين كان البرتغاليون يتابعون نشاطهم الكشفى دخلت اسبانيا

حلبة هذه الكشوف وبدأت تسعى من جانبها فى الوصول الى الهند عن طريق الاتجاه الى الغرب ، مما أدى الى توتر الموقف بينهما وتوقف حركة الكشوف البرتغالية لمدة تزيد عن عشر سنوات وخشية من مغبة قيام حرب بين الدولتين من اجل السيطرة على المناطق المكتشفة توسط البابا اسكندر السادس فى الأمر ، ونتج عن هذه الوساطة عقد معاهدة فى عام ١٤٩٤ م ثم بمقتضاها تحديد حد فاصل بين نطاقات سيطرة كل من الدولتين بحيث تنصب الكشوف البرتغالية شرقى المحيط الاطلسى على بعد ٣٧٠ ميلا غربى جزائر الرأس الأخضر فى حين تتجه الكشوف الاسبانية نحو غربى المحيط الاطلسى ، وتكون البرازيل من نصيب البرتغال وحدها (١٢) .

ونتيجة لذلك استمرت البرتغال فى اتمام كشوفها فارسلت فاسكودى جاما لاتمام ما بدأه بارتلميو دياز فى اجتياز طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى شرقى افريقيا والهند ، وقد تم له ذلك .

ونظرا لأهمية هذا الكشف فسنعرض له ولصاحبه ودوره فى اتمام الدوران حول جنوبى افريقيا الوصول الى ساحلها الغربى .

ولد فاسكو دى جاما عام ١٤٦٠ م وانتظم فى مطلع حياته بسلك الجندية ، ثم ارسله عما نويل الثانى ملك البرتغال فى رحلة الى الهند عن طريق رأس الزوابع فى عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م وللأهمية التى يعلقها التاج البرتغالى على هذه الرحلة قام الملك عمانويل بنفسه بتوديعها . وقد اصطحب دى جاما فى هذه الرحلة اربع سفن تضم ما يقرب من مائة وخمسين بحارا ، كما حمل معه العديد من الخرائط الملاحية والكتب .

وقد سار « دى جاما » من لشبونة محاذيا للساحل الغربى الافريقى

---

(١٢) عقدت بعد ذلك معاهدة بين الدولتين فى عام ١٥٢٩ كانت فى مصلحة البرتغال فى المحيط الهادى فاتفق على أن تكون الملقا للبرتغال والفلبين لاسبانيا .

انظر . ارنولد توينى : تاريخ البشرية ج ٢ — ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ، الاهلية للنشر ، ١٩٨٨ م ص ٢١٧ .

حتى رأس الرجاء الصالح ، فى محاولة منه لتحديد الاطار الخارجى لقارة افريقيا على خريطة كانت لديه ثم واصل رحلته حتى وصل الى موزمبيق .

وفى العاشر من مارس ١٤٩٨ م أبحر دى جاما الى مومبسا ووصل اليها بعد جهود مضنية حيث كادت العواصف العنيفة تحطم معظم سفنه ، ولما لم يجد ترحيبا من اهالى هذه المنطقة أبحر الى ماليندى ( كينيا الحالية ) وفى ماليندى قابل « دى جاما » الملاح العربى الخليجى المولد شهاب الدين أحمد بن ماجد ، واندهش من مقدرته على معرفة الأمور الملاحية ، وطرقها وأسرارها كما ازداد اندهاشه عندما رأى المعدات البحرية المتطورة التى يستخدمها ابن ماجد على سفينته والتى منها اسطرلاب عربى من المعدن والعديد من الخرائط وبعض الآلات التى يسجل بها ارصاده ، ونتيجة لذلك طلب دى جاما من ابن ماجد أن يرشده الى الطريق الموصل للهند ووافقه ابن ماجد على ذلك ، وقاد معه سفينة القيادة البرتغالية حتى أوصله الى ثغر قاليقوط فى ١٨ مايو ١٤٩٨ وكان هذا الثغر مركز تجارى هندى كبير يتعامل معه الكثير من التجار العرب ونتيجة لذلك رأى «دى جاما» المكانة التى يتمتع بها الرحالة العرب والمسلمون فى هذا الميناء ، مما دفعه الى أن يغير اتجاه سيره فسار شمالا حتى وصل الى « جوا » شمالى « قاليقوط » وعلى الساحل الغربى لشبه جزيرة الهند ، وهناك حمل سفنه بمنتجات هذه البلاد وعاد الى البرتغال يحمل الى ملبكها بشرى نجاح رحلته الكشفية .

ولقد نتج عن هذه المرحلة عدة نتائج مهمة نذكر منها :

١ ــ انها كانت بداية لأطماع البرتغاليين فى تجارة الهند وفتحا للعلاقات التجارية والسياسية مع الزامورين حاكم قاليقوط مما تسبب فى احتكاكهم بالمسلمين ومنافستهم للتجار العرب ومحاولتهم طردهم من هذه البلاد .

٢ ــ انها كانت فاتحة الاستعمار البرتغالى فى الشرق والسيطرة على بعض جزره ومراكزه وحصونه التى يمكن عن طريقها السيطرة على حركة الملاحة مثل مضيق هرمز .

٣ ــ انها كانت بداية نقطة تحول التجارة الشرقية من البلاد العربية

الى طريق رأس الرجاء الصالح — خصوصا بعد موقعة ديو البحرية ١٥٠٩ م — مما أدى الى أحداث كساد اقتصادى للدولة المملوكية .

وعلى كل حال فقد قام دى جاما برحلته الثانية عام ١٥٠٢ بهدف اغلاق المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، والقضاء على النفوذ التجارى العربى على السواحل الهندية الغربية والقيام بعقد معاهدات تجارية لدولة البرتغال مع الأمراء الهنود وبعد وصوله الى سواحل شرق أفريقيا قام بضرب مدينة كلوة بالقنابل ، وأجبر سلطانها على الاعتراف بخضوعه لملك البرتغال ودفع جزية سنوية له وقام بضرب السفن البحرية الموجودة عند مدخل البحر الأحمر ، وبدأ أعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية امام ساحل المليبار ، كما قام بضرب قاليقوط بمدفعية أسطوله يضاف الى ذلك أنه اغرق سفينة اسلامية فى خليج عمان كانت تستقل حجاج من الهند الى مكة المكرمة ، وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعا .

وبعد هذه الأعمال الاجرامية عاد « دى جاما » الى بلاده فى عام ١٥٠٣م بعد أن ترك أسطولا برتغاليا فى المياه الهندية .

وعلى كل حال فقد نتج عن الكشوف البرتغالية عدة نتائج مهمة نذكر منهـــا :

١ — تمكن البرتغاليين من الوصول الى الهند عن طريق بحرى جديد لا يمر بالأراضى الاسلامية ولا يخضع لنفوذها .

٢ — سيطرة البرتغاليين على الساحل الافريقى الغربى .

٣ — قيام العديد من المغامرين بالمزيد من الرحلات الاستكشافية .

٤ — انتشار تجارة العبيد المجلوبين من افريقيا بواسطة السفن البرتغالية الى أوربا .

٥ — القضاء على الحركة التجارية الاسلامية التى كانت تمخر عباب المحيط الهندى ، وتشاهد دائما فى موانئه وانتقال مركز التجارة العالمية من

البحر المتوسط الى المحيط الاطلسى مما أضاع الثراء الذى كان يتميز به المماليك والبنادقة .

٦ — حصول البرتغاليين على العديد من كنوز الشرق وثرواته ونتيجة لعدم قدرة التجار العرب والأمراء الهنود على مقاومة النفوذ البرتغالى الزاحف طلبوا النجدة من المماليك حكام مصر والشام فى ذلك الوقت ، فأعد السلطان المملوكى قانصوه الغورى أسطولا لوقف زحف البرتغاليين فى أعالى البحار الشرقية ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، حيث ضرب أسطوله فى موقعة ديو البحرية ١٥٠٩ م وواصل البرتغاليون سيطرتهم وقرصنتهم على البحار الشرقية فقام « الفونسو البوكيرك » بالاستيلاء على « هرمز » فى الخليج العربى ، وعلى « سوقطره » عند مدخل البحر الأحمر ، وعلى « جوا » Goa كما حاول البرتغاليون اقتحام عدن واختراق البحر الأحمر والوصول الى الأماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل نتيجة لتصدى أمراء المماليك لهم .

وبعد وقوع منطقة المشرق العربى تحت السيطرة العثمانية منذ عام ١٥١٦ م وقع عبء الكفاح ضد البرتغاليين على عاتق العثمانيين الذين وان لم ينجحوا فى انتزاع السيادة البحرية من البرتغاليين ، فانهم نجحوا فى احكام سيطرتهم على البحر الأحمر نهائيا ، وجعلوه بحرا اسلاميا خالصا .

ولم يكتف البرتغاليون بما حققوه من اكتشافات فى آسيا وافريقيا ، بل ساعدتهم الظروف فى الوصول الى سواحل البرازيل عندما دفعت الرياح الملاح البرتغالى « كبرال » الى الغرب فنزل الى سواحل البرازيل ومن هنا بدأ البرتغاليون فى احتلال هذه البلاد ونشر المذهب الكاثوليكى بين سكانها .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل نجح الشعب البرتغالى الصغير العدد فى بسط سلطانه على الممتلكات الكثيرة التى استولى عليها نتيجة لحركة الكشوف الجغرافية ؟

الواقع أن الاستعمار البرتغالى لبلاد الشرق لم يكن قائما على أساليب وقواعد استعمارية تحمل فى طياتها الاستيطان والاستقرار بل كان همه وقبل

كل شيء هو احتكار التجارة والحصول على أرباحها دون الاهتمام بالتنظيم السياسى أو الحكومى فى البلدان التى استولى عليها مما أدى الى انهيار صرح هذه الامبراطورية أمام التنافس الاستعمارى الأوربى خصوصا بعد أن فقدت البرتغال نفسها استقلالها ، ووقعت تحت الحكم الاسبانى حيث آل عرشها بحكم الوراثة الى فليب الثانى ملك أسبانيا ، فخرجت البرتغال من دلاد الشرق وهى مثخنة بالجراح ، وانتقلت السيادة التجارية الى يد الهولنديين والانجليز .

## ٢ ــ الكشوف الاسبانية :

لم يتوقف أمر حركة الكشوف الجغرافية على البرتغاليين بل نافستهم أسبانيا فى هذه الحلبة ثم تبعتها دول أوربية أخرى مثل هولندا وانجلترا وفرنسا .

وقد اتجهت الكشوف الأسبانية ناحية الغرب تاركة للبرتغاليين جهة الشرق ــ طبقا لوساطة البابا اسكندر السادس ــ فأرسلت فى اغسطس عام ١٤٩٢م وبتشجيع ومباركة فرديناند وايزا بيلا بعثة كشفية تحت رئاسة الملاح الجنوى الأصل كريستوف كولمبس .

والسؤال المطروح هو لماذا نافست أسبانيا البرتغال فى حركة الكشوف ؟ وهل كان قصد كولمبس اكتشاف العالم الجديد أو الوصول الى الهند ؟

الواقع أن منافسة أسبانيا للبرتغال كانت برغبة الحصول على نصيب لها من الذهب والفضة عن طريق التجارة الشرقية التى سبقتها البها جارتها البرتغال ، ومحاولة الاتصال بدول الشرق عن طريق الابحار غربا عبر المحيط الاطلسى حتى تتمكن من وقف احتكار البنادقة للتجارة الشرقية ، هذا بالاضافة الى الأسباب الدينية المتمثلة فى الرغبة بتحويل سكان البلاد المكتشفة الى المسيحية ، ورفع راية الصليب عليها .

أما عن القصد من اكتشاف عالم جديد فقد جاء وليدا للصدفة .

حقيقة لقد كان الأوربيون يقرأون فى ذلك الوقت كتابات الرحالة ماركو بولو ، ويستمعون الى القصص المثيرة عن البلاد الغنية بالذهب والجواهر ويؤكدون وجود أراض ، وجزر غريبة وعجيبة فى المحيط الاطلسى، ولكن لم يكن فى حسبانهم فكرة اكتشاف عالم جديد وخاصة وان الغرض من رحلات كولمبس كان اكتشاف جزر الهند الشرقية أو جزر التوابل وعلى كل حال فقد أبحر كولمبس فى المحيط الأطلسى غربا فى عام ١٤٩٢ م وبرفقته ما يقرب من مائة بحار بينهم طبيب وجراح ومترجم حتى وصل الى أرض يابسة فاعتقد انه وصل الى جزر من ساحل الهند مركز انتاج التوابل لذلك سمى سكانها بالهنود ، وفى الحقيقة أنه اكتشف جزر الانتيل الصغرى وبعض جزر الباهاما .

وقد أطلق كولمبس على هذه المنطقة اسم سان سلفادور ثم توجه بعد ذلك الى شاطىء كوبا الشمالى ، وجزيرة هايتى وسماها اسبانيولا اى أسبانيا الصغيرة وعلى الرغم من هذه الرحلة لم يكتنفها العواصف ، فقد كان بحارته قلقين من مصيرها .

وبعد حوالى ثمانية شهور من قيام هذه الرحلة عاد كولمبس الى أسبانيا حيث استقبل استقبالا حافلا ، كما وعدته الملكة ايزابيلا بأن تعينه حاكما على الأراضى التى اكتشفها من قبل الملك مما شجعه على القيام بثلاث رحلات أخرى اكتشف فيها جزءا من شاطىء امريكا الوسطى والجنوبية والبحر الكاريبى .

وهناك عمل على نشر المسيحية فى هذه البلاد ، وقرب بعض اهالى هذه البلاد اليه بمنحهم بعض الخرز والاجراس الصغيرة التى كان قد احضرها معه وقد اطلق الأسبان على أهالى هذه المناطق اسم الهنود لاعتقادهم الخاطىء انهم وصلوا الى بعض سواحل الهند . وعلى كل حال فيبدو أن النجاح الذى حققه كولمبس قد زاد من كثرة حاقديه الذين أوغروا صدر البلاط الأسبانى عليه بحجة أنه أضاع أموال اسبانيا فى رحلات لم تجن منها الدولة على ما كان يؤمله الأسبان من توابل الشرق مما أدى الى اقصائه من منصبه وايداعه السجن الذى ظل فيه معتقدا أنه لم يكتشف قارة جديدة وانما نزل الى ساحل الهند ، وهذا هو السبب الذى جعل اكتشاف

أمريكا لم ينسب اليه وانما نسب الى « أمريجو فيزبوتشى » الذى نجح بعد ذلك فى الوصول الى الشاطىء الشرقى لأمريكا الجنوبية موفـــدا من ملك البرتغال .

والسؤال المطروح هو ما مدى صحة ما يتردد حول أن العرب وصلوا الى أمريكا قبل رحلة كولمبس ؟

الواقع أن العالم الصينى الدكتور ( هوى لزلى ) أســـتاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا الأمريكية كان قد أكد ذلك فى بحثه الذى القاه فى الاجتماع الحادى والسبعين بعد المائة لجماعة المستشرقين بمدينة فلادلفيا واستند فيه الى وثائق محفوظة فى الصين والى فصائل من النبات والحيوان لم تكن من محاصيل الأرض الأمريكية ، وذكر من اخبار تلك الوثائق أن اكتشاف العرب لامريكا تم فى القرن الثانى عشر الميلادى فى رحلة استغرقت مائة يوم . والى جانب ذلك فقد عثر فى ريو دى جانيرو بالبرازيل على صخرة عليها نقوش قريبة الشكل الى هذه المناطق .

ومع كل ذلك فان المعلـــومات حـــول اكتشاف العرب لأمريكا لا تزال محدودة المجال وان كان يتردد بعضها بين الحين والآخر .

وعلى كل حال فقد كان لرحلات كولمبس نتائج مهمة نذكر منها :

١ ــ أنه فتح أمام الأوربيين الآفاق للهجرة والاستيطان فى عالم جديد ارتياد العالم الجديد .

٢ ــ أنه فتح أمام الاوربيين الآفاق للهجرة والاستيطان فى عالم جديد

٣ ــ أنه فتح آفاقا جديدة لجمع الثروات المعدنية والمواد الخام التى غيرت مجرى الاقتصاد الأوربى .

٤ ــ أنه أدى الى تشكيل مجموعة جديدة من الأمم فى نصف الكـــرة الغربى تختلف تماما عن الشعوب الأصلية التى سكنت تلك المناطق .

٥ ــ ان هذا الاكتشاف كان أحد الأحداث الفاصـــلة فى التـــاريخ العـــالمى .

٦ — انه وطد حكم الأسبان الكاثوليك فى أمريكا الوسطى والجنوبية ووضع لهم موطىء أقدام للانطلاق لغزو المكسيك وبيرو وغيرها .

٧ — انه أدى الى نشر المسيحية فى الأراضى المكتشفة التى كان لا يدين أصحابها بديانة سماوية .

وبعد وفاة الملك فرديناند تولى الحكم من بعده حفيده شارل الأول الذى بلغت الكشوف الأسبانية فى عهده قمة نجاحها ، فبعد أن تخلى الملاح البرتغالى « ماجلان » عن جنسيته البرتغالية — بعد أن رفض الملك عما نويل ملك البرتغال أن يعطيه أسطولا للابحار عن طريق الغرب — عرض على الملك شارل الخامس فكرة الابحار عبر المحيط الاطلنطى لاكتشاف جزر التوابل واعلان ملكيتها لأسبانيا فى نظير امداده بمجموعة من السفن والرجال ، وبعد أن وافق ملك أسبانيا على طلبه لا عن عقيدة بنجاح الفكرة ولكن لأن حماسة الشاب وعميق ايمانه بفكرته أخذ بلب الامبراطور ومن هنا أبحر ماجلان جنوبا فى المحيط الاطلسى فى صباح ٢٠ من سبتمبر ١٥١٩ م فى رحلة الى آفاق مجهولة ، تصحبه خمس سفن عليها ٢٦٥ بحارا وبعد حوالى ثلاثة أشهر استطاع الوصول الى أمريكا الجنوبية والابحار الى « ريو دى جانيرو » فى البرازيل ، وهناك خرج الأهالى من أكواخهم وأخذوا يرحبون بالأغراب ويتبادلون معهم ما يملكونه (١٣) ثم دار حول شواطىء أمريكا الجنوبية ودخل الى محيط كانت المياه والزوابع فيه هادئة فاطلق عليه Pacific أى المسالم أو الهادىء الذى يعد ماجلان أول من قام باجتيازه .

وواصل ماجلان سيره حتى وصل الى الشواطىء التى اطلق عليها اسم الفلبين تكريما لاسم الأمير فليب الذى تولى عرش أسبانيا فيما بعد ، والتى بتيت فى حوزة أسبانيا لفترة طويلة .

---

(١٣) أشار بيجافيتا أحد البحار المصاحبين لماجلان فى مذكراته الى أن « الأهالى البسطاء كانوا يعطوننا لقاء كل جرس معدنى صغير سلة كبيرة مملوءة بالبطاطس » كما كتب عن النساء اللائى كان كل ما يغطى اجسادهن السمر شعور طوال سود كالليل البهيم » .

وعلى كل حل فان ماجلان لم يعد الى أسبانيا حاملا أخبار اكتشافاته حيث قتل فى أحد حروبه داخل الفلبين بنبال مسمومة اخترقت فخذه وأزهقت روحه .

## النتائج التى حققتها رحلة ماجلان :

١ — لن ينسى التاريخ أن ماجلان ذلك الشاب الأعرج قد برهن لعالم مدى قدرة الانسان على تحمل المشاق .

٢ — أثبتت هذه الرحلة أن السير فى اتجاه واحد سواء كان ذلك من الشرق أم من الغرب لابد أن يؤدى الى الرجوع للمكان الذى بدأ منه الانسان رحلته مما اثبت بالدليل القاطع الحقيقة الجغرافية التى تؤكد كروية الأرض .

٣ — أن هذه الرحلة فتحت طريق الشرق الأقصى أمام الأوربيين ، كما ربطت العالم الجديد بالشرق الأقصى .

٤ — أثبتت هذه الرحلة أن هناك قارتين عظيمتى الاتساع هما أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية يقعان بين أوربا وآسيا .

٥ — أنها كشفت الطريق المؤدى الى المحيط الهادى وصححت الفكرة عن نسبة مساحة اليابس بالنسبة للماء .

٦ — أنها منحت الانسانية عطاء وافرا من الثروة والمعرفة .

وهكذا أصبح ماجلان الذى مات قبل أن يرى ثمار عمله ويرى راسه مكللة بأكاليل الغار مثلا واضحا للشجاعة الخارقة والعزم الراسخ .

## ثالثا الكشوف الانجليزية :

آثار النجاح الذى احرزته كل من البرتغال واسبانيا رغبة الدول الأوربية الاخرى فى النزول الى هذه الحلبة فأدلى الانجليز بدلوهم فى هذا المجال ، وان كان الدور الذى قاموا به فى حركة الكشوف يعد ضئيلا بالنسبة لما حققه الاسبان والبرتغاليين من كشوف .

ففى عهد الملك هنرى السابع قامت بعثة بقيادة الايطالى « جون كابوت » بعبور الاطلسى والوصول الى شاطىء أمريكا الشمالية عند « نيوفوندلاند » فى ٢٤ من يونيو ١٤٩٧ ورفع الاعلام الانجليزية هناك ، كما ابحر « كابوت » مرة ثانية بخمس سفن فى عام ١٤٩٨ ووصل الى فلوريدا مما أدى بعد ذلك الى استعمار الانجليز لأمريكا الشمالية ، ومن ثم أصبح ملك انجلترا صاحب السيادة والنفوذ على هذه المناطق

وفى عام ١٦٠٠ وافقت الملكة اليزابيث على تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية .

**رابعا : الكشوف الفرنسية**

اتجهت فرنسا بكشوفها الجغرافية نحو امريكا الشمالية حيث قام الملاح « جاك كارتيه » بأربع رحلات اكتشف خلالها اقليم كندا ، ومصب نهر سانت لورانس فى عام ١٥٢٥ ، وتوغل فى العديد من المناطق الأمريكية .

ونتيجة لذلك تكونت شركات فرنسية عند منطقة « سان لورانس » لاستغلال هذه المنطقة اقتصاديا .

وفى عام ١٦٨٢ اكتشف الفرنسيون نهر المسيسبى وانتشرت قواتهم فى مساحات واسعة من امريكا الشمالية ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث حاربهم الانجليز وانتزعوا كندا من ايديهم .

**خامسا : الكشوف الهولندية :**

كان للهولنديين دور بارز فى حركة لكشوف الجغرافية حيث قام الملاح « هنرى هدسون » بعبور شمال الأطلسى والوصول الى خليج نيويورك ونهر الهدسون الذى سمى باسمه ، كما اكتشف القبطان الهولندى « وليم شوبتن » طريق راس هورن فى عام ١٦١٦ والذى أصبح منذ ذلك الوقت طريقا ملاحيا مهما ثم واصل المستكشفون الهولنديون رحلاتهم حتى اقتربوا من استراليا ونيوزيلندة بين عامى ١٦٢٢ — ١٦٢٤ ولكن نظرا لعدم متابعتهم لهذه الكشوف نسبت فيما بعد الى الانجليزى « جيمس كوك » الذى قام بثلاث رحلات اكتشف فيها استراليا ونيوزيلنده وبعض جزر المحيط الهادى .

وعلى كل حال فقد اتخذ الهولنديون من رحلة هدسون أساسا بنوا عليه حقوقهم فى امتلاك واستعمار المنطقة الساحلية فى أمريكا الشمالية الواقعة بين خطى عرض ٤٠ ، ٤٥° من الشمال ، كما أقام الهولنديون مركزا تجاريا مهما فى جزيرة مانهاتن ؛ ومحطة تجارية لجمع الفراء وفى عام ١٦٢٢ م تأسست شركة الهند الغربية الهولندية ومنحت حقوقا تجارية واستعمارية واسعة فى مناطق من العالم الجديد وعلى طول ساحل افريقيا الغربى جنوبى مدار السرطان فبسطت نفوذها على اقليم نهر هدسون وبنت قلعة أمستردام كما اشترت هولندا جزيرة مانهاتن بأربعة وعشرين دولارا .

وفى عام ١٦٢٢ أصبحت نيوزلنده ( هولندة الجديدة ) مستعمرة حقيقية للهولنديين .

كما استولى الهولنديون على ساحل غينيا وفى عام ١٦٣٤ استولوا على « كوركو » بجزر الهند الغربية ونزلوا جيانا بأمريكا الجنوبية واحتلوا جزءا من البرازيل لمدة ثلاثين سنة حتى عام ١٦٥٤ م .

كما احتلوا جزيرة هيلانة ، واقاموا مستعمرة عند راس الرجاء الصالح ١٦٥٢ م واستولوا على جزيرة موريشيس وجزيرة سيلان وساحل الهند الجنوبى الشرقى وكذلك على محطات لتجارة الحرير فى فارس ، ومحطة لتجارة البن فى المخا باليمن .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد انصب اهتمامهم الى أرخبيل الملايو من أجل ذلك أسسوا محطات بحرية فى فرموزا ، كما وصلوا الى سومطرة فى عام ١٥٩٥ وحكموا الجزر الاندونيسية وسيطروا على التجارة مع الصين واليابان ولم يحل منتصف القرن السابع عشر الميلادى الا وكان الهولنديون اكبر قوة أوربية فى البحار الشرقية .

## سادسا : النتائج التى ترتبت على الكشوف الجغرافية :

### ١ ــ النتائج الاقتصادية :

استطاعت حركة الكشوف الجغرافية تغيير خطوط ومعالم مراكز التجارة العالمية حيث قلت أهمية البحر المتوسط بالنسبة لهذه التجارة وازدادت أهمية

المحيط الاطلسى ويعرف بعض المؤرخين ذلك بالثورة التجارية التى كان من أهم نتائجها .

( أ ) تدفق المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة الى أوربا .

(ب) زيادة عدد أفراد الطبقة الوسطى من التجار ورجال الصناعة وارتفاع مستوى معيشتهم .

(جـ ) ظهور العديد من الصناعات والمحاصيل الزراعية الجديدة مثل البطاطس والكاكاو والتبغ والكينا والذرة .

( د ) ظهور مشكلة تصريف المصنوعات وزيادة الطلب على المواد الخام اللازمة للصناعة مما ساعد على حركة الاستعمار .

( هـ ) انشاء البورصات المالية العالمية وازدياد نشاط المصارف .

( و ) بناء الأساطيل الضخمة حتى تؤمن الدول الأوربية سبل اتصالها بممتلكاتها فيما وراء البحار .

**٢ ــ النتائج السياسية :**

١ ــ اشتعال عملية التنافس الاستعمارى بين الدول الأوربية رغبة فى التوسع فيما وراء البحار على حساب الشعوب المستضعفة .

(ب) قيام الحروب بين الدولة الأوربية وبعضها .

(جـ ) السيطرة السياسية على دول الشرق .

**٣ ــ النتائج الاجتماعية :**

١ ــ اقرار مبدأ التفرقة العنصرية والمناداة بسيطرة الرجل الأبيض على غيره .

٢ ــ وضع حياة بعض الشعوب وارادتها تحت السيطرة الأوربية .

٣ — انتشار أسواق الرقيق فى أوربا .

٤ — انتشار الحركات التبشيرية بغرض نشر العقيده الكاثوليكية بين سكان المستعمرات .

٥ — ابراز دور الطبقة الوسطى .

**النتائج العلمية والثقافية :**

١ — انماء عملية المعرفة ، وتغيير الكثير من المعلومات الجغـــرافية المتوارثة عن شكل الكرة الأرضية وحجمها وعدد القارات والمحيطات .

٢ — تطور علم الفلك ، وظهور معلومات جديدة عن الاجرام السماوية وغيرها .

٣ — اتساع مجال البحث العلمى .

٤ — ظهور معلومات جديدة فى علوم النبات والحيوان والبحار .

obeikan.com